سائلها ولو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر تخصصه بمكان دون مكان
وبزمان دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل ان يكون كذلك فيقال
له فلو دام الماضي يتفق ان لهم كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط
الله عليهم الريح العاصفة كيف تكون احوالهم وعن الثالث فالسفينة
موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة
يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة ولا
يثق احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى
الله تعالى طالبا للنجاة واما اثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع
مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها ووصل اليها ويكون له عقل يعلم
ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاصه بمكان دون مكان
ووجوده في زمان دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام
قد ابتلي بتكذيب قومه اتبع قصته لقصة لوط بقوله والى
مدين اي ولقد ارسلنا وبعثنا الى مدين اخاهم اي من النسب او البلد
شعيبا ومدين قيل اسم رجل في الاصل وحصل له ذرية فاشتهر
في القبيلة كتميم وقيس ونحوهما وقيل اسم ما نسب القوم اليه
فاشتهر القوم قال الرازي والاول كانه اصح لان الله تعالى اضاف
الماء الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم ماء كانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة
التغاير حقيقة فان قيل قال تعالى في نوح ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فقدم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك
في ابراهيم ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا
فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم
يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث
الرسل

151

الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره غير ان
قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون
بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح
فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اصله
وقال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فقال
اي متسبب عن ارساله وتعقيبه ان قال يا قوم اعبدوا الله اي الملك
الاعلى وحده ولا تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها شرك ظاهر او
خفي عدم لان الله تعالى اغنى الشركاء فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا
فان قيل لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن
شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان
ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند
الخلق من ابراهيم فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من
المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا يامر بالتوحيد اذ ما
من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد
انقراض ذلك الزمن وذلك القوم فكان هو اصلا في التوحيد
فبدا به ولما كان السياق لاقامة الادلة على البعث الذي هو من
مقاصد السورة قال وارجوا اليوم الاخر اي وافعلوا ما ترجون به لها قبة
فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه
من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو
من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض حال كونكم مفسدين اي
متعمدين الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقيبه تكذيبهم
المتسبب عنه وتعقيبه اهلاكهم تحقيقا لان اهل السيئات لا يفوتون
قال تعالى فكذبوه في ذلك فان قيل ما حكاه الله تعالى عن شعيب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)